**المحاضرة رقم 5** **المدرسة البصرية منهجها وأعلامها**

1. **التعريف بالمدرسة :**

**1-1 البصرة:**

كانت لهذه المنطقة اهمية تجارية عظيمة منذ القديم بموقعها على شط العرب وملتقى نهري دجلة والفرات، وتحكمها في مصبه في البحر، ولفت إليها هذا الموقع أنظار الفاتحين وجعلوا منها مركزا تجاريا مما ساعد على نموها وازدهارها. وكانت مستقر الحضارة العربية وملتقاها بالحضارات الأخرى، فالعرب الوافدوم إليها مزالت تغلب عليهم نزعة البداوة ويميلون بطبعهم إلى الحياة الفطرية، غير أنهم اتصلوا بشعوب كثيرة رسخت أقدامهم في المدينة فأخذوا الكثير من ثقافات تلك الشعوب وتعلموا منهم كل جديد مع الحفاظ على مقومات حياتهم وعروبتهم وأسلوب حياتهم، وقد أعانهم على أطراف البصرة البادية و الحضر على ذلك وقد نزلت هذه القبائل العربية ونزحت إلى البصرة، أنشِئَت أسواق بينهم منها سوق الإبل وكان ملتقى لاهل المدينة وللوافدين إليها من البادية بالحضر، ونشطت فيه التجارة وصارت المواسم التي يفد الاعراب على هذه السوق أشبه بالمهراجات واقرب ما كون إلى سوق عكاظ في الحجار، ينشد فيها الشعراء أشعارهم ويقصد إليها إلها الفصحاء من الاعراب وعلماء البادية ورواة الأخبار والأيام.[[1]](#footnote-2)

ولم ينته القرن الأول حتى صارت البصرة مركزا لطلاب العلم والدارسين يقصدها الادباء والشعراء، وظهرت فيها الرجالات الذين لم ينجب مثلهم عصر في الفقه والعلم والأدب والورع. وقسمت البصرة بعد تمصيرها وكان سكانها من القبائل العرب المختلفة بعضهم من مقاتلة العرب وبعضهم من الراحلين إليها م القبائل العربية الساكنة في نجد والحجاز فاتسعت بهم البصرة وتضاعفت مساجتها وكان يسكنها أقوام أخرى غير العرب، وامتزجت هذه الأقوام ببعضها وبمن يفدون إليها للتجارة أو الاطلاع وبمن كان فيها من الموالي من الجنسيات متعددة جاءت بهم الفتوحات الإسلامية فنشأ عن هذا الخليط جيل من العلماء يجمعون الثقافات والعلوم العربية والإسلامية إلى ما كان لديهم من عقليات ومواهب وعبقريات.[[2]](#footnote-3)

* 1. **أهم مراكز الثقافة بالبصرة[[3]](#footnote-4):**

**1-المسجد الجامع**: أشهر مجالسه مجلس الحسن البصري(ت110ه)

* مجلس واصل بن عطاء(ت131ه)
* مجلس أيوب بن أبي تميمة السختياني
* مجلس حماد بن سلمة(ت165ه**)**

**2-سوق المربد:** (كان يسمى سوق الإبل) وهوسوق شبيه بسوق عكاظ

**2/ أهم أعلام المدرسة:[[4]](#footnote-5)**

|  |  |
| --- | --- |
| الطبقة الأول | **أبو الأسود الدؤلي/عبد الرحمان بن هرمز** |
| الطبقة الثانية | **نصر بن العاصم الليثي/يحيى ين يعمر/عنبسة الفيل/ميمون الأقرن** |
| الطبقة الثالثة | **معاوية بن عمر الديلمي/عبد الله بن أبي اسحاق الحضري** |
| الطبقة الرابعة | **أبو عمرو بن العلاء/ أبو سفيان بن العلاء/ الأخفش الكبير(عبد الحميد بن المجيد)/عيسى بن عمر مسلمة بن عبد الله/ بكر بن حبيب السهمي** |
| الطبقة الخامسة | **الخليل بن أحمد/ حماد بن سلمة/ يونس بن حبيب/ يعقوب بن إسحاق الحرضرمي/أبو عاصم النبيل** |
| الطبقة السادسة | **النضر بن شميل/أبومحمد اليزيدي/سيبويه/ سعيد بن مسعدة الأخفش أبو الحسن/ أبو عمر الجرمي/ علي بن خضر الجهمي/محمد اليزيدي بن أبي محمد/ الفضل بن محمد بن أبي محمد اليزيدي أبو العباس** |
| الطبقة السابعة | **أبو عثمان المازني/أبو حاتم السجستاني/ الرباشي العباس بن الفرج/ قطرب محمد بن المستنير** |
| الطبقة الثامنة | **أبوالعباس المبرد/ الباهلي أبو العلاء** |
| الطبقة التاسعة | أ**بو اسحاق الزجاج/ محمد ابن السراج/ ابن درستويه** |
| الطبقة العاشرة | أبو سعيد السيرافي |

وومن هؤلاء العلماء من صنع أثارا واضحة في النحو كأبي الأسود الدؤلي فقد كانت البصرة أول مركز من مراكز الدراسات النحوية، وتخرج على يد أبي الأسود الدؤلي جماعة من أشهرهم عنبسة الفيل بن معدان المعروف بعنبسة الفيل ، وروي عن أبي عبيدة بن المثنى أنه قال: « اختلف الناس إلى ابي الأسود الدؤلي يتعلمون منه العربية، فكان أبرع أصحابه عنبسة بن معدان المهري، واختلف الناس إلى عنبسة، فكان أبرع أصحابه ميمون الأقرن[[5]](#footnote-6)»، والتطور الذي انتهى إليه النحو في عهد يحيى ويعمرو نصر بن العاصم اللثي تمثل في[[6]](#footnote-7) :

* استقرار بعض المصطلحات النحوية مثل : الرفع والنصب والجر والتنوين والإعراب
* إضافة بعض الابواب النحوية
* دفع النحو الى مجال إثارة المسائل العلمية التي تدور بين العلماء إلى المشاركة أكثر واوسع.
* مواصلة التأليف النحوي.

جاء بعدهما عبد الله ابن أبي اسحاق الحضرمي(ت117) يقول فيه ابن سلام: « كان اول من بعض النحو ومد القياس وشرح العلل»، فيجعله أول من اشتق قواعد النحو وأول من طرد فيها القياس، حيث يحمل ما لم يسمع عن العرب على ما سمعه عنهم، ويقول أبو الطيب اللغوي: « فرع عبد الله بن أبي اسحاق النحو وقام وتكلم في الهمز حتى عُمل فيه كتاب مما أملاه»، وعني بالتعليل لقواعد النحو وتمسك كثيرا بتلك القواعد المعللة والقياس عليها قياسا دقيقا .

ويخطئ كل من ينحرف في كلامه عنها فكان كثير التخطئة للفرزدق لما كان يورد في أشعره من بعض شواذ النحو وتذكر الروايات أنه خطئه في قوله مادحا عبد الملك بن مروان: وعض زمان يا ابن مروان لم يدع////من المال مسحتا أو مجرفُ

واعترض لرفعه قافية البيت التي كان حقها النصب لأنها معطوفة كلمة مسحتاً المنصوبة ولأن القياس النحوي يحتم ذلك ويوجبه.[[7]](#footnote-8)

أما أبوعمرو بن العلاء (ت154)عنى بإقراء القرآن في المسجد الجامع بالبصرة، وهو أحد القراء السبعة المشهورين، كما عنى بلغات العرب وغريبها وأشعارها وأيامها ووقائعها، وفي ذلك يقول الجاحظ: « كان اعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس» وفي أخباره ما يدل على أنه كان يأخذ بالاطراد في القواعد ويتشدد في القياس فقال له بعض معاصريه:(أخبرني عما وضعت مما سميته عربية أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا ، أعمل على الاكثر وأسمي ما خالفتني لغات).

أما يونس بن حبيب(ت182ه) لزم أبا عمرو بن العلاء ورحل إلى البادية وسمع عن العرب كثيرا، مما جعله راويا كبيرا من رواة اللغة والغريب، قال بعض القدماء ((كانت ليونس مذاهب وأقيسة تفرد بها)) وخالف فيها الخليل ومن آرائه المتفردة أن الزائد في كلمة (قطّع) هو الحرف الاول على حد رأي الخليل أما يونس فيرى أنه الحرف الثاني.[[8]](#footnote-9)

ويرى الخليل أن مفعول (ننزعن) محذوف في الآية:﴿ لَنَنْزَعَنَّ مِن كُلِّ شيِعَةٍ أَيَّهُمْ أَشَدُّ على الرّحمن عتيَّا﴾، والتقدير( لننزعن الفريق الذين يقال عنهم أنهم أشد )، وقال يونس جملة( (أيهم أشد) هي المفعول.

وأما الخليل بن احمد الفراهيدي(ت175ه) منشأه البصرة وكان عقل الخليل من العقول الخصبة النادرة، فقد قال عنه ابن المقفع ان عقله أكثر من علمه، وهو عقل جعله يتصل بكل علم، وجعله يقف على وضع عروض الشعر ورفع صرح النحو ورسم المنهج الذي ألف عليه معجم العين أول معجم خاضع للترتيب العلمي للأصوات في العربية.

وقد صح ما ذكره بعض المترجمين أن له كتابا في النحو والتصريف مأثور عليه وأن سيبويه تلميذه قد سجل عليه كثير من بحوثه النحوية والصرفية، يقول ثعلب: الاصول والمسائل في الكتاب للخليل» ويقول أبو الطيب اللغوي: « عقد سيبويه كتابه بلفظه ولفظ الخليل،[[9]](#footnote-10)أما سيبويه عمر بن عثمان بن قنبر فارسي الأصل وهو من الموالي قدم البصرة وهو لا يزال غلاما التحق بحلقات الفقهاء والمحدثين، ولم تذكر كتب التراجم أنه رحل إلى البادية وطلب اللغة والسماع عن العرب ومشافهتهم، غير أن ما تردد في كتابه من مثل (سمعنا العرب تنشد هذا الشعر)، و(سمعنا من العرب)، و(هو كثير في جميع لغات العرب)و (عربي كثير) يدل على أنه رحل إلى البوادي.

بدأ سيبويه تأليف الكتاب بعد وفاة الخليل، ونال هذا الكتاب مكانة بين جميع الكتب وقد قال فيه المازني تلميذ الأخفش:( من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي) ويقول الجاحظ:(أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك، ففكرت في شيء أهديه إليه، فلم أجد شيئا أشرف من هذا الكتاب، وقد اشتريته من ميراث الفراء فقال ابن عبد الملك، والله ما اهديت إلي شيئا أحب إلي منه ويقول فيه أبو الطيب اللغوي:((هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل وألّف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو).[[10]](#footnote-11)

**3/منهج المدرسة:**

* من أبرز سمات هذا المذهب تتجلي في الدقة والحيطة، فقد أشتهر نحاة البصرة باتقاء الأساليب الفصيحة، والشواهد الصحيحة التي سمعوها عن العرب ،لكن لأم يقبلوا كل ما سمعوه، ولم يعتمدو كل ماروي لهم، وقد حرصوا أن تأخذ من الثقاة، وعلى الرغم من ذلك لم تسلم شواهدهم من النصوص المصنوعة والموضوعة.وتسمى هذه المرحلة الحساسة بالمرحلة الوصفية التي تميزت بخضوع البحث اللغوي إلى خصائص الظاهرة اللغوية، ومن اهم إجراءات هذه المرحلة الجمع والوصف، والمقارنة، والتصنيف والتقسيم والتعميم.
* مر البحث اللغوي بمرحلة تسمى بالمرحلة المعيارية وما يميزها هو خضوع الشواهد اللغوية الى منهج النحاة وقواعدهم، حيث غلبت القاعدة على النص، ويمكن أن نستخلص سمات هذه المرحلة من خلال المعايير الآتية:
* التمسك بفكرة العامل النحوي
* الخروج عن قاعدة العامل وخرق القاعدة
* إلحاق الشواهد التي لم يرد في حكمها نص طريق القياس إلى نظام اللغة العربية.
* التمسك بفكرة العلة النحوية
* اعتبار القاعدة معيارا أساسيا للصحة والخطأ
* من خصائص البحث النحوي عند البصريين التشدد في القياس؛ فكل ما وافق أصولهم مقبول أما ما خالفها فهو مردود ووقفوا أمامه مواقف عديدة؛
* الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه
* جعل القاعدة معيارا للخطأ والصواب
* تشددوافي وضع شروط صارمة اثناء جمعهم للغة واقتصروا على فترة زمنية محددة وغطارا مكانيا واحدا.
* يوصف نحوهم بأنه نحو تعليمي لتمسكه بفكرة العامل والعلة النحوية والمنهج المتبع.

1. خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 26 [↑](#footnote-ref-2)
2. المرجع نفسه ، ص28 [↑](#footnote-ref-3)
3. المرجع نفسه، ص29،30 [↑](#footnote-ref-4)
4. طبقات النحويين واللغويين، ص [↑](#footnote-ref-5)
5. ......: مراكز الدراسات النحوية، ص 26. [↑](#footnote-ref-6)
6. المرجع نفسه، ص27, [↑](#footnote-ref-7)
7. شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص23. [↑](#footnote-ref-8)
8. المرجع نفسه، ص 28 [↑](#footnote-ref-9)
9. ينظر، شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص30،31،32،33،34،.... [↑](#footnote-ref-10)
10. ينظر ، المرجع نفسه، ص59،60،61. [↑](#footnote-ref-11)